معين الدين انرأ تابك دمشق وموقفه من حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين(٥٢٦هـ/١١٣١م .٥٤٤هـ/١١٤٩م)

د. حسين حديس جاسم الجميلي(*)

ملخص البحث:

كان معين الدين انر وزيراً واتابكاً لدمشق من قبل آل بوري للفترة من(٥٢٦هـ/١١٣١م ولغاية ٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وكان هو الحاكم الفعلي لدمشق وبيده الامور السياسية والادارية، وله صلاحية قرار الحرب والسلام. وكانت نشأته السياسية قد تزامنت مع فترة الخمول والتجزئة والمصالح الشخصية والتحاسد بين الامراء التي كانت هي السائدة في هذه الفترة، اذ ان حركة الجهاد ومشروع الوحدة والنهوض القومي الذي بدأه عماد الدين زنكي لم يتبلور ولم يكتمل بعد، كما ان معين الدين انر لم يتأثر به ولم يستجب له ولم يكن راغباً به بل آثر الارتباط بالصليبيين وتحالف معهم بمعاهدات مهينة له ولامارته، فضلاً عن دفعه لهم الرشاوي والاتاوات دون خجل أو مبالات. وبناء على هذا الوصف لشخصية انر، فان موقفه كان واضحاً وسلبياً من حركة الجهاد وقادتها المتمثلة: بعماد الدين ونور الدين ولم يتعاون معهما في تحقيق الوحدة ولا في جهادهما ضد الصليبيين، وقد تبين من خلال موقفه الانفرادي اثناء الحملة الصليبية الثانية، ويمكن توضيح تلك المواقف لمعين الدين وفق ما ياتي:

اولاً: موقفه من عماد الدين زنكي:

بالنظر لاهمية دمشق المتميزة في بلاد الشام في الصراع مع الصليبيين. جعلتها محط انظار عماد الدين زنكي وتطلعاته بضمها الى حلب، لتعزيز الوحدة ولتكون قاعدة له ضد الصليبيين الطامحين هم بضمها كذلك للاسباب نفسها، الا ان معين الدين انر افشل مشروع الوحدة بوقت مبكر عندما

(*)مدرس/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة تكريت.

راسل اعيان دمشق عماد الدين بضمها اليه سنة(٥٢٩هـ/١١٣٤م) فوقف معين الدين ضده ورفضه، كما انه استعان بالصليبيين واخذ يؤلبهم ضد عماد الدين.

ثانياً: موقفه من نور الدين محمود:

كذلك فان انر وقف ضد نور الدين الذي ورث حركة الجهاد بعد وفاة والده عماد الدين علماً انه لم يشكل اية خطورة على الحكام المحليين المتعاونين معه، لكن انر تعامل معه بشكل سلبي واقتطع من املاكه حمص وبعلبك التابعتين لاملاك والده قبل وفاته. كما انه تعامل معه بقدر ما تقتضيه مصالحه الخاصة وعند الحاجة، ومن امثلة ذلك، انه استعان بنور الدين واستنجد به عندما شن حلفائه صليبيو بيت المقدس حملة عسكرية على حوران التابعة له، فانجده نور الدين واعادها اليه من الصليبيين لكن ما ان عاد الصليبيين حتى عاد انر بالتودد والتحالف معهم من جديد وبشتى الوسائل على الرغم من ان نور الدين اراد ان يثنيه عن الصليبيين وتقرب اليه بالزواج من ابنته ولكن دون جدوى. كما ان انر استمر بابتعاده عن الزنكيين وظل متخوفاً منهم ولم يستدعهم للوقوف الى جانبه في الحملة الصليبية الثانية على دمشق سنة(٥٤٣هـ/١١٤٨م) بل استخدمه ورقة ضاغطة لتخويف الصليبيين لانسحابهم عن دمشق، كما وضع الشروط والعراقيل امام دخول قوات سيف الدين اخو نور الدين الى دمشق، الامر الذي اضطره ان يتنازل للصليبيين عن حصن(بانياس) ودفع المزيد من الرشاوي لهم لتفريق جمعهم وانسحابهم عن دمشق.

ثالثاً: ذيول سياسته:

ومما زاد من اثر سياسة انر انها صارت وراثيه ولم تنته بموته سنة(٥٤٤هـ/١٤٨م) بل ان هذه الساسية الشائنة والمتحالفة مع الاجنبي استمرت بمجيء خليفته وربيبه(مجير الدين ابق) الذي سار على نهجه وصار حجر عثرة امام نور الدين بضم دمشق، والذي حاول ضمها سلمياً لكن دون جدوى. حتى اضطر نور الدين دخولها وضمها عنوة بناء على رغبة اهلها ولاسيما الشباب منهم الذين شعروا بخيانة حاكمهم وتحالفه مع الصليبيين.

اما عن تبعات سياسة انر ومخاطرها على حركة الجهاد الاسلامي فلها ابعاد خطيرة عدة يمكن اجمالها بما ياتي:

١ـ ان معين الدين انر ظل نقطة ضعف في جسم الامة بالتجائه الى اعدائها الصليبيين.

٢. ان سلوكه بدفع الاتاوات والاموال الى الصليبيين اضر باقتصاد دمشق التي كان اهلها اولى بالحاجة الى المال لتحسين اوضاعهم من الصليبيين.

٣ـ ظل معين الدين انر حجر عثرة في طريق مشروع الوحدة وحركة الجهاد حتى وفاته والتي كان بالامكان تحقيق ضم دمشق منذ عهد عماد الدين فتأخر هذا المشروع حتى مجيء نور الدين وتمكن من ضمها وحقق رغبة المسلمين في الوحدة التي استكملت لاحقاً بضم مصر في عهد صلاح الدين الايوبي اذ اسهم معين الدين بشكل غير مباشر في تأخير مشروع الوحدة لعقود عدة.

مما يجعلنا ان نقييم سياسة انر ونصفها بانها: كانت سياسة مصلحية إقليمية ضيقة وتوفيقية ذات موازنات وخطوات محسوبة مع جيرانه لتحقيق مآربه الخاصة دون العناية بمصالح الامة. اذ كان عليه ان يتنازل عن بعض مصالحه ويوقض الحمية في نفوس المسلمين عامة، وعندها سيكون القائد المنتظر الذي سيحقق للامة اهدافها، لكن ذلك لم يتحقق مع معين الدين انر وموقفه من حركة الجهاد.

المقدمة:

يضطلع المؤرخ بمهمة ومسؤولية كبيرة، الا وهي الانصاف وتنبيه الاجيال الحالية والمستقبلية الى ما يمكن استنباطه وكشف الحقائق بشكل معمق لتشخيص الامراض التي عانت منها الامة، لاسيما من بعض العقبات والمصاعب التي تثيرها دائماً حفنة من اصحاب المصالح الفردية يعز عليهم التضحية باطماعهم الخاصة في سبيل الصالح لامتهم، ولا يتحرجون في سبيل تلك الاطماع من محالفة عدو او اعداء يهددون كيان امتهم ويتخذون من ذلك الانشقاق اداة لتحقيق مكاسب غير مشروعة على حساب ابناء الامة، فكانوا دائماً عقبة كأداة وحجر عثرة في طريق الوحدة ولعبوا دوراً خطيراً في تعطيلها منطلقين من نظرة مصلحية ضيقة غير

مبالين بوحدة الامة وتحرير ارضها من الصليبيين الغزاة، وقد كان معين الدين إنر أتابك دمشق للفترة من(٥٢٦هـ/١١٣١م .٥٤٤هـ/١١٤٩م) واحداً من بين من يوجه له اصبع الاتهام في تكريس التجزئة ومولاة الاجنبي ورفض الوحدة وحركة الجهاد وتغلب مصلحته على مصلحة امته، مما دفعني لتسليط الضوء على هذه الشخصية الغير المتوازنة التي ظل صاحبها عائقاً في طريق الوحدة حتى وفاته فتناول البحث:

أوضاع دمشق في بداية الحروب الصليبية، وموقفه من حركة الجهاد وقادتها عماد الدين زنكي ونور الدين محمود، وكذلك موقفه من الحملة الصليبية الثانية، وكما درس البحث ذيول سياسة أنر وتبعاتها بعد وفاته، ثم أوضح البحث اثر هذه السياسة وابعادها على الوحدة وحركة الجهاد الاسلامي.

وفي الختام أرجو ان اكون قد وفقت في اعطاء البحث صورة واضحة عن الموضوع... والله الموفق.

أولاً: أوضاع دمشق في بداية الحروب الصليبية حتى ارتقاء أنر السلطة

لم تكن الاوضاع السياسية في دمشق بمعزل عن الاوضاع السياسية في بلاد الشام عشية الغزو الصليبي، اذ كانت دمشق في هذه الفترة خاضعة للنفوذ السلجوقي وتحت سلطة السلطان السلجوقي تتش بن الب ارسلان، وعند مقتله اثناء الصراع مع اخيه بركياروق سنة(٤٨٨هـ/١٠٩٥م) صارت دمشق بعد ذلك من حصة ابنه دقاق، وبعد وفاة الاخير انتقل حكمها الى اتابكة وزوج والدته طغتكين، الذي صب جل عنايته على تثبيت حكمه في دمشق[١] وخاض العديد من المعارك ضد الصليبيين، لكنه رغم ذلك كان شخصية خلافية تباينت حوله اراء المؤرخين، اذ وصفه احدهم بأنه كان متخاذلاً ومواقفه مصلحية وقدم العديد من التنازلات[٢]

---

[١] ابن خلكان،وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر(بيروت:١٩٧٧)،مج١، ص٢٩٥.٢٩٦.

[٢] البكر،راغب حامد:" حكام دمشق والحروب الصليبية "، مجلة اداب الرافدين،العدد ٢٧(الموصل:١٩٩٥)، ص٢٥٦.٢٥٧.

في حين وصفه اخر بأنه شخصية مجاهدة[١]، وبعد وفاة طغتكين سنة(٥٢٢هـ/١١٢٨م) انتقل حكم امارة دمشق الى ابنه ابو سعيد بوري الذي استمر حكمه اربع سنوات[٢] تعرضت فيها دمشق لمحاولات احتلال عدة من قبل الصليبيين بالتعاون مع الباطنية الا أنها فشلت[٣]، وبعد وفاة تاج الملوك سنة(٥٢٦هـ/١١٣١م) تولى ابنه شمس الملوك الذي صار في عهده معين الدين أنر اتابكا وزيراً له إذ كانت له سلطات واسعة في دمشق من الناحيتين الادارية والسياسية[٤]، ولما كانت سيرة شمس الملوك سيئة في الحكم تجاه اهل دمشق[٥]، قتلته امه زمرد خاتون سنة(٥٢٩هـ/١١٣٤م) واجلست اخاه شهاب الدين ابا القاسم محمد بن بوري على عرش دمشق الذي قتل بدوره على يد غلامه وخادمه سنة(٥٣٣هـ/١١٣٨م) فتولى بعده الاخ الثالث جمال الدين محمد بن بوري لكنه لم يستمر طويلاً، اذ توفي بعد ذلك بسنة(٥٣٤هـ/١١٣٩م) فتولى امارة دمشق ابنه مجير الدين ابق محمد بن بوري بن طغتكين[٦] والذي استمر معه معين الدين أنر حتى وفاته، إذ كان الاتابك معين الدين طوال هذه السنوات هو وزيره والحاكم الفعلي لدمشق يتمتع بسلطات واسعة وبيده امورها السياسية والادارية والعسكرية، وله صلاحية اتخاذ قرار الحرب والسلام وعقد الاتفاقيات مع جيرانه من الصليبيين والزنكيين في بلاد الشام[٧].

ثانياً: موقف أنر من قادة الجهاد:

---

[١] وري،دريد عبد القادر:" موقف أتابكة دمشق من الغزو الصليبي "، مجلة اداب الرافدين،العدد ١١(الموصل:١٩٧٩) ص١٣٣.١٣٥.

[٢] ابن خلكان، وفيات الاعيان، مج١، ص٢٩٦.

[٣] جون لامونت، الحروب الصليبية والجهاد، دراسات اسلامية، ص١٠٣.

([4]S: Lane poole , Saladin and fall of kingdom of jerusalem.

[٥] ابن قاضي شهبة،الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق:محمود زايد،(بيروت:١٩٧١)، ص١٠٣.

[٦] ابن خلكان،وفيات الاعيان، مج١، ص٢٩٦.٢٩٧.

[٧] مؤنس، حسين، سيرة نور الدين محمود، مطبعة مصر(القاهرة:١٩٥٩)، ص٢٠٦.٢٠٧.

أ . أنر وعماد الدين زنكي:

تمتعت دمشق بأهمية مميزة في بلاد الشام، وذلك لقربها من الامارات الصليبية وبيت المقدس من ناحية، وكونها منطقة اتصال بين العراق والشام من ناحية اخرى لانها تقع على الطريق التجاري الممتد من الفرات الى النيل، فضلاً عن طاقتها البشرية اذ تمتلك القوة والمقدرة في العدد والعدة، وتعد اهم نقطة أنطلاق ومنطقة تموين مستمرة للعساكر الاسلامية التي تتبنى الجهاد ضد الصليبيين[١] مما جعلها محط انظار عماد الدين زنكي وتطلعاته بضمها الى حلب لتكون له قاعدة مهمة وعمقاً ضد الصليبيين الذين كانوا يرون هم فيها الاهمية نفسها مما جعلها هدفاً لكلا الطرفين المتصارعين زنكي والصليبيين، وفي اثناء تولى شمس الملوك بن بوري راسل اعيان دمشق عماد الدين زنكي بضمها اليه سنة(٥٢٩هـ/١١٣٤م) لانهم كانوا يشكون في سيرة حاكمها شمس الملوك الا ان وزيرها معين الدين أنر الذي كانت بيده ادارة دمشق من الناحية الفعلية افشل مشروع زنكي في ضمها الى حلب كما انه استعان بالصليبيين واخذ يؤلبهم عليه كلما احس بخطر من زنكي يهدد استقلال دمشق[٢].

ب . أنر ونور الدين:

كان نور الدين محمود شخصية فذة جعلت من بعد توليه امارة حلب بعد وفاة والده زنكي يرث الجهاد ضد الصليبيين لذا حرص على تحرير الاراضي العربية ومقدساتها، لكنه بالمقابل لم يشكل أية خطورة على الحكام المحليين المتعاونين معه والرافدين لجهوده في الوحدة والتحرير ضد الصليبيين لذا لم ينفر منه سوى الحكام الضعاف وقصيري النظر من ذوي المصالح الفردية المتعاونين مع الاجنبي من امثال معين الدين أنر[٣] والذي ابدى مواقفه السلبية من نور الدين منذ وقت مبكر

---

[١] المعاضيدي واخرون،خاشع،الوطن العربي والغزو الصليبي، مطبعة جامعة الموصل(موصل:١٩٨١)،ص٩٥.٩٦.

[٢] ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص١٠٣.

[٣] مؤنس، سيرة نور الدين، ص٢٠٦.

من تولي الاخير امارة حلب بعد وفاة والده زنكي سنة(٥٤١هـ/١١٤٦م) فكان أنر اول الطامعين بأرث زنكي، فانتهز هذه الفرصة وانتزع حمص التابعة لحلب، كما اقتطع بعلبك التابعة لزنكي واجبر حاكمها على التنازل عنها[١]، الا ان نور الدين الذي برزت فيه روح القيادة منذ الوهلة الاولى بعد وفاة والده لم يعر اهمية الى تصرفات أنر بل وجه جل عنايته الى الصليبيين ولاسيما الى جوسلين الثاني أمير الرها الذي حاول استردادها من نور الدين بعد تحريرها على يد زنكي، لكن نور الدين فوت الفرصة على جوسلين ونازله عليها حتى هزمه واخرجه منها[٢] وقد اثار انتصاره هذا في الرها قلق الصليبيين وتخوفهم من تعاظم قوته في المنطقة لما فيها من تهديد لمصالحهم ووجودهم في بلاد الشام، مما ادى بهم الى الدعوة الى حملة صليبية جديدة[٣]، ان ظهور نور الدين زنكي اثار مخاوف معين الدين أنر كذلك واخذ يتعامل معه من نظرة احادية ضيقة وعلى وفق ماتمليه عليه مصالحه وعند الحاجة الضرورية له ومن امثلة ذلك عندما شن صليبيو بيت المقدس هجوماً على حوران التابعة لدمشق وبالتنسيق مع التونتاش حاكم صرخد وبصرى التابعين لمعين الدين والذي عرض هذا الحاكم المسيحي مساعدته للصليبيين مقابل تملكه حوران من قبله، فتوجه الصليبيين بقيادة ملكهم(بلدوين الثالث) من طبرية الى حوران سنة(٥٤٢هـ/١١٤٧م) لأخذها على الرغم من احتجاج حليفهم أنر[٤] الامر الذي اضطره الى استدعاء نور الدين لاستنجاده على الصليبيين والذي لبى نداءه بطبيعة الحال ودون تردد وخرج بجيشه وسار معه الى بصرى فسلمها اهلها اليهما قبل ان يستولي عليها الصليبيين وعادت الى سيطرة أنر، وفشل مشروع الصليبيين الذين

---

[١] الباز العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، دار النهضة(القاهرة:١٩٦٣) ج١، ص٥٣٥.

Gibb: The carren of Nur. Ad. Din in k. Setton , A history of the Crusades.

[٢] العريني، الشرق الاوسط، ج١/ص٥٦٣.

[٣] العريني، الشرق الاوسط، ج١/ص٥٣٧.

[٤] العريني، الشرق الاوسط، ج١/ص٥٤١.

اضطروا الى الانسحاب الى القدس بصعوبة بالغة[١] ولم يكن هدف نور الدين من وراء ذلك سوى نصرة دمشق وحماية ارض المسلمين، وما ان انتهت هذه الحرب حتى عاد معين الى عادته في محاباة صليبيي القدس طالباً بتجديد المحالفة معهم[٢] حذراً من نور الدين الذي علم بأمر هذا التحالف لكنه تظاهر انه لا يعلم وترك دمشق لصاحبها أنر حتى يطمئنه ويبعث الامان في قلبه، لعله يرجع الى صوابه ويكسبه الى جانبه نظراً لأهمية مدينة دمشق الاقتصادية والسياسية لجبهة المسلمين[٣]، فحاول نور الدين ان يستميل أنر لتحاشي خسارته وابعاده عن التحالف مع الصليبيين، فتوجه نحوه بسياسة اخرى تميزت بنوع من الود والوفاق أثمرت في النهاية بزواجه بأبنة أنر، كما تم توقيع معاهدة تعاون بين الطرفين سنة(٥٤٣هـ/١١٤٨م)[٤]، الا ان سياسة نور الدين هذه لم تنفع مع معين الدين الذي جعل مصالحه الشخصية فوق كل اعتبار ولم تؤد الى الغاء تحالفه مع مملكة بيت المقدس وسائر الصليبيين بالشام لأن أنر اراد ان يكسب الطرفين من خلال المصاهرة مع نور الدين وسياسة الموادعة والتحالف مع الصليبيين ورأى أنها الاجدى والانفع لتحقيق السلام في بلاد الشام وضمان استقلال دمشق[٥] دون الميل فقط الى جبهة نور الدين محمود والذي كان أنر يشعر دائماً بانه يهدد امارته لذا ظل مبتعداً عنه ولا لا يميل اليه الا عندما تقتضي الضرورة في التحسب لمستقبل

---

[١] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين(بيروت:١٩٨٠)، ص٢٨٩؛ ابو شامة، كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لنوريةوالصلاحية، ط١(بيروت:٢٠٠٢)ج١، ص٢٠٠.

[٢] عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط٢، مطبعة التأليف الترجمةالنشر،(القاهرة:١٩٦٣م)،ج٢،ص٦١٨.٦١٩.

[٣] مؤنس، سيرة نور الدين، ص٢٠٦.٢٠٧.

[٤] ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق:جمال الدين الشيال،مطبعة جامعة فواد الاول(القاهرة:١٩٥٣)ج١،ص١١١ .١١٢؛ العريني، الشرق الاوسط،ج١/ص٥٣٨؛
Gibb: Thecarrer of Nur – ad. Din , p. 518.

[٥] العريني، الشرق الاوسط، ج١/ص٥٣٩، Crouset op. cit 11. p. 211.

امارته كما انه كان في الوقت ذاته لا يرغب في توسيع الفجوة مع الصليبيين الذين كانوا كذلك لا يرغبون في اثارة النزاع مع دمشق، لكن الموقف الصليبي تغير بصورة كبيرة مع مجيء الحملة الصليبية الثانية(٥٤٣هـ/١١٤٨م) الى الشرق لتعزيز النزعة التوسعية للصليبيين من جديد، والتي حولت وجهتها نحو الاستيلاء على دمشق اولاً[١] وتبين من خلال موقف أنر كذلك ومدى تخوفه من نور الدين صاحب حلب في الوقت الذي كان فيه أنر بأمس الحاجة الى نجدته، حتى كادت دمشق تسقط بيد الصليبيين الا ان أنر المتحكم بأدارة دمشق لم يستنجد بقوات نور الدين القريبة منه والمتحصنة في حمص، بل آثر الاستنجاد بأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل على الرغم من ان نور الدين كان اقرب اليه واكثر عدداً من قوات الموصل وأكثر سرعة في انجاده لو طلب منه ذلك، لكن معين الدين فضل الاستنجاد بسيف الدين وعلى وفق شروط محددة منها عدم السماح له بدخول دمشق في حالة هزيمته امام الصليبيين[٢]، لأنه كان متخوفاً كذلك من سيف الدين غازي فكان طلبه ليس جدياً تجاهه بقدر ما اراد من استخدام قوة الزنكيين كورقة فحسب لتخويف الصليبيين وابعادهم عن دمشق، بمعنى ان أنر آثر اتباع سياسة التلويح بالقوة فقط دون المضي الى الانظمام الى هذا الطرف او ذاك كلياً ؛ لذا وضع الشروط والعراقيل لمنع قوات الزنكيين من دخول دمشق[٣] وذلك لعدم ثقته بهم وهو عمل غير محمود بالنسبة لأنر الذي ابتعد عن الدعم الحقيقي للجبهة الاسلامية، على الرغم من افادته من هذه الورقة في انسحاب الصليبيين من دمشق وذلك بتخويفهم من قوات نور الدين وسيف الدين فضلاً عن بذله لهم الرشاوى[٤] لتفريق جمعهم في الوقت نفسه وعد الصليبيين بأنه سوف ينقض تحالفه مع نور

---

[١] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢/ص٦١٨.٦١٩.

[٢] ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق:عبد القادر احمد طليمات(مصر:١٩٦٣)ص٨٩؛ابو شامة،الروضتين،ج١/ص٢٠٦.

[٣] العريني، الشرق الاوسط، ج١/ص٥٦٧

[٤] ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٠٦.

الدين اذا ما انسحبوا عن دمشق[١]، اما عن موقف أنر من نور الدين بعد الحملة الثانية فأنه لم يتغير كذلك على الرغم من اظهاره نوعاً من التعاون مع نور الدين لأن ذلك نابع من استمرار الخوف وعدم الثقة به، لذا فأن أنر لم يستجب له عندما دعاه نور الدين سنة(٥٤٤هـ/١١٤٩م) لمساعدته بارسال مدداً ضد صاحب انطاكيا الذي جمع الصليبيين وخرج يريد العبث ببلاد المسلمين وطلب منه نور الدين حينئذ ان يسير بنفسه لمساعدته لكن معين الدين المتحالف مع الصليبيين لم يستجب استجابة كاملة ولم يحضر بنفسه وانما ارسل جزءً من جيشه بقيادة احد قواده بدلاً عنه فجرت معركة(إنب) التي انتصر فيها نور الدين وقتل فيها حاكم انطاكيا انذاك[٢] مما يدل ان أنر لم يخلص تماماً لنور الدين ولم يطمئن له ولم يخف خوفه منه على دمشق رغم مصاهرته له ورغم اظهاره تودده له في الوقت الذي لم يشكل نور الدين في حقيقة الامر خطراً عليه لو كان متعاوناً معه بحسن نية وانضم اليه طوعاً لأن نور الدين لم يكن همه التسلط والتوسع على حساب الاخرين من الحكام المسلمين بقدر ما كان همه قوة المسلمين التي تكمن في وحدتهم وتضامنهم والتي من خلالها يستطيع تحرير ارض العرب ومقدساتهم من الصليبيين الغزاة، وسنجد كيف ان عامة الدمشقيين قد ادركوا ذلك وفتحوا الابواب لنور الدين عام(٥٤٩هـ/١١٥٤م) في سابقة نادرة سجلت فيها الناس ارائها وجعلتها فوق ارادة حاكمها.

ثالثاً: موقفه من الغزو والاحتلال الصليبي.

أ . موقفه قبل الحملة الصليبية الثانية:

بالنظر الى أهمية دمشق ووقوعها وسطاً بين الصليبيين من جهة الغرب وامارة عماد الدين زنكي في حلب من جهة الشرق مما جعلها مستهدفة من كلا الطرفين المتصارعين لان الاستيلاء على دمشق يعد نصراً للطرف الفائز بها

---

[١] العريني، الشرق الاوسط، ج١/ص٥٦٩.

[٢] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٠٤-٣٠٥ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢١٥ ؛ عاشور،الحركة الصليبية، ج٢/ص٦٣٧.٦٣٨.

ويعزز مواقفه بالتوسع من خلالها، لذا كانت محط انظار الصليبيين منذ وقت مبكر وتعرضت لمحاولات عدة للاستيلاء عليها منذ عهد حاكمها طغتكين الذي وقف بوجههم وافشل ضمها اليهم عندما تقدم الصليبيين لاحتلالها(٥٢٠هـ/١١٢٦م) ووصلوا الى منطقة حوران القريبة من دمشق وتمكنوا من قطع الامدادات المارة من دمشق شمالاً حتى تصدى لهم طغتكين[١] عندما كانوا بقيادة بلدوين الثاني وكادوا ينتصرون على جيش المسلمين، لكن طغتكين استطاع ان يكسرهم ويحول الهزيمة الى نصر[٢]، كما ان محاولاتهم الاخرى لم تنجح بالسيطرة على دمشق، بعد وفاة طغتكين سنة(٥٢٢هـ/١١٢٨م) إذ اعادوا الكرة وداهموا المدينة في عهد الامير تاج الملوك بوري بن طغتكين اذ تعاون الصليبيين مع الاسماعيلية هذه المرة واتفقوا معهم سراً بتسليم دمشق للصليبيين على ان يتنازل الصليبيين لهم بالمقابل عن مدينة صور لكن هذه المؤامرة احبطت من قبل الامير بوري وتم تصفية عناصرها في السنة ذاتها[٣] وكانت للصليبيين محاولة اخرى لاسقاط دمشق سنة(٥٢٣هـ/١١٢٩م) عندما توجه اليها ما يقارب الستين الف من الصليبيين القادمين من القدس وانطاكيا والرها والمناطق الساحلية الصليبية الاخرى[٤] الا ان موقف دمشق كان بطولياً اذ استعد اهلها للصليبيين وجمعوا الاسلحة وحصنوا اسوار المدينة وصدوا الهجوم الصليبي عن دمشق[٥]، أما عن موقف أنر وتعامله مع الصليبيين قبل الحملة الثانية، فإنه أخذ يستميلهم ويتحالف معهم ويداهنهم لتحاشي شرورهم من جهة ولوقوفهم بوجه طموح عماد الدين من جهة اخرى[٦]

---

[١] ابن القلانسي،ذيل، ص٢١٦ ؛ابن الاثير،الكامل في التاريخ،دار صادر(بيروت:١٩٦٦)ج١،ص٦٤٠؛رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية،ج٢، ص٢٧٨.

[٢] ابن القلانسي، ذيل، ص٢١٢.٢١٤ ؛ ابن الاثير، الكامل، ج١٠/ص٦٣٩.

[٣] ابن الاثير،الكامل،ج١٠/ص٦٥٧.٦٥٨ ؛ جون لامونت، الحروب الصليبية والجهاد،ص١٠٣.

[٤] ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص٩٦.

[٥] ابن القلانسي، ذيل، ص٢٢٤.٢٢٥.

[6] Lone poole , Salaidin and fall of Kingdom of Jeve Salen(London: 1958) p55.

فأرسل أنر الى بيت المقدس سفارة برئاسة اسامة بن منقذ سنة(٥٣٤هـ/١١٣٩م) عقد من خلالها اتفاقية تضمنت ان يبذل حاكم دمشق للصليبيين(٢٠) الف قطعة من الذهب كل شهر اتاوة لهم لتجهيز جيوشهم وان يبقى عندهم رهائن[١] لضمان تنفيذ الاتفاق وللتعبير عن حسن نواياه.

ب . موقفه اثناء الحملة:

بما ان هذه الحملة جاءت نتيجة لرد الفعل الاوربي على سقوط الرها بيد عماد الدين زنكي التي نقل أخبارها الحجاج القادمين من بيت المقدس الى اوربا[٢]، كما ان اخبار نور الدين وأنتصاره وإفشاله لمحاولة استردادها من قبل اميرها جوسلين الثاني سنة(٥٤١هـ/١١٤٦م) اثارت مخاوف وقلق اوربا من نور الدين وظهوره كقوة اسلامية مؤثرة في المنطقة[٣] فقرر البابا(يوجين الثالث) الدعوة الى حرب صليبية جديدة، فتوجهت طلائع هذه الحملة الى بلاد الشام والتي تتألف من اعظم جيوش في اوربا هما الجيش الالماني بقيادة الملك(كونراد الثالث) والجيش الفرنسي بقيادة الملك(لويس السابع)[٤]، وقد عانى الجيشان وتكبدا خسائر فادحة اثناء عبورهما حدود الدولة البيزنطية على يد سلاجقة الروم مما أضطرهما الى تغير مسارهما عن طريق البحر حتى حتى تمكنا في نهاية الامر بعد خسائر كبيرة من الوصول الى مملكة بيت المقدس[٥] وقد بلغ تجمع الجيوش المحتشدة التي اضيفت الى هذين الجيشين الى ما لا يقل عن(خمسين) الف مقاتل تولى قيادة هذه الجيوش بلدوين الثالث ملك مملكة بيت المقدس، ولويس السابع، وكونراد الثالث،

---

[١] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢/ص٣٦٤.٣٦٥.

[٢] العريني، الشرق الاوسط، ج١/ص٥٤٣.

[٣] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢/ص٦٢٥.

[٤] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢/ص٢٤٨.

[٥] العريني، الشرق الاوسط،ج١/ص٥٥٨؛رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية،ج٢/ص٤٩٧.

فأجتمعت هذه الجيوش في طبرية[١] بيد ان مسار الحملة وهدفها تحول من مهاجمة نور الدين الى مهاجمة دمشق واحتلالها وذلك لاسباب عدة منها:

ظهور الخلافات و المصلحية بين قادة الحملة ومنها الاهمية السياسية والاقتصادية والعسكرية لمدينة دمشق، فضلاً عن ناحية اخرى مهمة وهي التوجه الى مواطن الضعف في الجبهة الاسلامية لان الجيوش المهاجمة غالباً ما تبدأ بالاضعف لتحقيق النصر بأقل خسارة[٢] وبما ان معين الدين أنر هو الاضعف هنا تحولت الحملة الى دمشق على الرغم من تحالف أنر مع الصليبيين ومداهنته لهم وهو الحليف الوحيد للصليبيين بين امراء المسلمين بالشام[٣]، الامر الذي اثار استغراب أنر نفسه ولم يصدق بداية الامر ولم يحس بالخطر حتى ايقن تماماً بالهجوم والتقدم على اسوار دمشق عندما اخذت الحملة طريقها اليه في ٥ تموز من سنة(٥٤٣هـ/١١٤٨م) ووصلت الى ظواهر دمشق بقصد احتلالها، فأحاطوا بالبساتين التي كانت تقع غرب المدينة وتمكنوا منها بعد ان سيطروا على تلك القرى الامامية كقرية المزة والربوه في الرابع والعشرين من الشهر نفسه[٤] وعندما عرف أنر بعد ذلك ان التقدم الصليبي لامناص منه وأنه سيخسر المعركة، وان الامر كان خطيراً اذا لم يتدارك الموقف على الرغم من ان اهالي دمشق قاتلوا الصليبيين قتالاً بطولياً شارك فيه حتى الشيوخ منهم، لكن أنر خاف ان تكون الدائرة عليه هذه المرة، عندها ارسل على الفور رسالة الى نوابه في المدن والقلاع التابعة له طالباً النجدة منهم، كما ارسل الى سيف الدين غازي ومن ثم نور الدين محمود ابناء زنكي[٥] طالباً انقاذ الموقف، فأتته اعداد كبيرة من الجند والنجدات والتي انضمت تحت قيادته فتمكن أنر من شن هجوماً مضاداً أستطاع فيه ان يرد

---

[١] ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٠٢.٢٠٣.

[٢] مؤنس،سيرة نور الدين،ص٢١٦.

[٣] عاشور،الحركة الصليبية،ج١/ص٦٣١.

[٤] اسامة بن منقذ،كتاب الاعتبار، ص٩٤.٩٥؛ابو شامة، الروضتين،ج١/ص٢٠٢.٢٠٣.

[٥] ابن القلانسي، ذيل، ص٢٩٨.٢٩٩ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٠٣.٢٠٤.

الصليبيين ويتحولوا من حالة الهجوم الى حالة الدفاع تكبدوا فيها خسائر كبيرة عند اسوار دمشق[١] كما ان قوة هجمات الدمشقيين ومن معهم صدت الصليبيين واجبرت كونراد ولويس السابع على تغير خطتهما تم بموجبها الجلاء عن البساتين الواقعة غرب المدينة الى معسكر اخر شرق المدينة لكشف تحركات جيش دمشق[٢] لكن تبين فيما بعد ان هذا القرار كان اكثر خطورة على جيشهم في هذه الجبهة لان سور دمشق في هذة المنطقة كان اكثر مناعة وقوة فضلاً عن عدم توفر المياه في هذا الموقع الامر الذي ادى الى اندحارهم وخوار قوتهم وضياع فرصتهم في الاستيلاء على دمشق[٣] وفي الوقت الذي حصل فيه تغيير لصالح القوات الدمشقية، فأنه حصل تغير اخر في الجبهة الصليبية وهو خلاف كبير بين قادة الصليبيين حول مستقبل مدينة دمشق قبل ان تتم السيطرة الفعلية عليها وكانت نقطة خلاف صليبيي بلاد الشام والصليبيين الجدد حول مستقبل دمشق ولمن تكون ام تبقى تابعة لمملكة بيت المقدس[٤] مما اضعف موقف الصليبيين بشكل عام فضلاً عن مراسلة معين الدين لسيف الدين ونور الدين ودعوته لهم بالقتال مما اثار مخاوف الصليبيين على الرغم من عدم رغبته وعدم جديته ومماطلته بتأخير مشاركتهما بشكل حقيقي بقدر ما كانت مناورة منه[٥] كما اسلفنا لانه كان غير مطمئن من بني زنكي ويدرك خطورة وجدودهما قي دمشق ولا سيما اذا احتل جنودهما قلعة دمشق فلن يتركوها، لذلك تجاهل أنر الرد على دعوة سيف الدين غازي لانجاده((وماطله لينظر ما يكون من الفرنج))[٦].

---

[١] العريني،الشرق الاوسط،ج١/ص٥٦٦؛رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية،ج٢/ص١١٣.

[٢] رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية،ج٢/ص٢٨٢.٢٨٣.

[٣] عاشور،الحركة الصليبية،ج٢/ص٦٣٣،Crousseti ,op. cit Tomell , p 263 – 264

[٤] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢/ص٢٨٢.٢٨٣.

[٥] ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص٨٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج١/ص١١٣.

[٦] ابو شامة، الروضتين،ج١/ص٢٠٦.

في الوقت نفسه ارسل معين الدين رسالة عاجلة الى الصليبيين الجدد يهددهم بقوة سيف الدين((بأن ملك الشرق قد حضر فأن لم ترحلوا الا سلمت البلد اليه وحينئذ تندمون))[١] كما ان أنر شرح للصليبيين مدى الخطر الذي سيحيق بهم لو استولى سيف الدين غازي على دمشق لانه في تلك الحالة((لن يبقى لكم معه مقام في الشام))[٢] في الوقت نفسه راسل أنر صليبيي دمشق القدامى لتفريقهم عن الصليبيين الجدد وقال لهم:((بأي عقل تساعدون هؤلاء علينا وأنتم تعلمون انهم ان ملكوا دمشق اخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحلية))[٣] كما واصل أنر مراسلاته مع الصليبيين القدامى محاولاً اقناعهم بالتخلي عن الصليبيين الجدد حتى اطمعهم بمنحهم حصن(بانياس) مقابل الجلاء عن دمشق وهو عرض مغري[٤] لهم فأستجابوا له وتخلوا عن دعوتهم لكونراد وخوفوه بقوة سيف الدين مما أثر على معنوياته فأضطر الى العودة الى بلاده خائباً.

وقد نجحت فعلاً خطط معين الدين أنر مع الصليبيين وزعزعت مواقفهم عندما أدركوا حقيقة فشل حملتهم التي يجب ان تكون وجهتها الصحيحة الى الخطر الحقيقي نور الدين في حلب أولاً وليس دمشق، كما ان مركزهم الجديد في خطتهم للحرب في شرق دمشق لم يخدمها بسبب قلة الماء، عند ذلك قرر لويس السابع وكونراد الثالث الانسحاب عن دمشق ولم يمض على وصولهم سوى خمسة ايام[٥] مما يدل على نجاح أنر في خططه التي فعلت فعلتها في شق صفوف الصليبيين وزرع الشكوك وتبادل الاتهامات بينهم فأخذ المحاربون الجدد الوافدون من الغرب يتبادلون التهم مع بارونات بيت المقدس ويحملونهم الفشل كما ان أنر دفع رشوة لبارونات مملكة بيت المقدس الذين أقنعوا ملوك الحملة بتغير موقع القتال من

---

[١] ابن واصل،مفرج الكروب،ج١/ص١١٣؛ ابن الاثير،الكامل، ج٩/ص٢١.

[٢] ابن الاثير، الكامل، ج٩/ص٢١.

[٣] ابن الاثير، الكامل، ج٩/ص٢١ ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢/ص٢٣٨.

[٤] ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٠٦.

[٥] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢/ص٦٣٥.

البساتين الى الجهة الشرقية التي تشح فيها المياه[١] مما كان له أكبر اثر في اختلافهم وتفرق جيوشهم وفشل حملتهم ورحيلهم عن دمشق وقد اجمل حسين مؤنس اسباب هزيمة الصليبيين واثر خطط معين الدين عليهم وقال:((واخذ(أنر) يخيف الصليبيين بجيش نور الدين فمالت نفوسهم الى الانسحاب، وفعل المال فعله في نفوس من اخذوه، واشتد هجوم المسلمين على العسكر الصليبي وزاد بهم العطش، واحس كونراد ولويس ان صليبي الشام طغمة من الطامعين الفاسدين، لايؤمن جانبهم فعولا على العودة الى القدس بمن معهم))[٢].

كما وصف الاصفهاني الفشل الصليبي ورحيلهم قائلاً:((ورحلوا عنها خائبين خاسئين خاسرين))[٣]، وهكذا فشلت هذه الحملة في السيطرة على دمشق ولم يخرجوا بنتيجة سوى الخذلان وخسران الهيبة في بلاد الشام.

ج . موقفه بعد الحملة:

اما عن موقف أنر تجاه الصليبيين بعد الحملة الثانية فأنها ثابتة رغم تغيير الصليبيين عليه وغزوهم دمشق، اذ استمر بعلاقته الطيبة معهم؛ لانه لا يرغب بتصعيد الموقف معهم مهما كانت الاسباب وانه ظل مقتنعاً بحاجته الى مثل هذه العلاقة وبضرورة التعايش السلمي معهم لانه كان يشعر دائماً انه هو المستهدف وأنه هو الاضعف بين هذه القوى المتربصة به في بلاد الشام من الصليبيين والزنكيين والتي تريد الانقضاض على امارته ففي سنة(٥٤٤هـ/١١٤٩م) قرر أنر عقد أتفاقية اخرى مع مملكة بيت المقدس لضمان بقائه وذلك بتحسين علاقته بهم والتي تقضي:((تجديد عقد المهادنه والمسامحة.. وتقررت حالة الموادعة سنتين، وزال الخوف واطمأنت النفوس.. وسكنت الى اتمامه وسرت بأحكامه))[٤]، ويبدو

---

[١] الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر(بيروت:١٩٩٠م)ج٢،ص٧٨٣-٧٨٥؛ باركر ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، ط٢(بيروت: ١٩٦٧م) ص٤٨.

[٢] مؤنس، سيرة نور الدين، ص٢٢٣.

[٣] الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، ص٢٠٥.

[٤] ابن القلانسي، ذيل، ص٣٠٠ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٠٦.

من خلال ذلك ان معين الدين أنر ظل يعتمد اسلوب الموازنة مع جيرانه وذلك للحفاظ على وجوده واستقلاله في دمشق فتارة تعاون مع الزنكيين بقدر مصالحه كما تعاون وتحالف في الوقت نفسه مع الصليبيين تارة اخرى ضد نور الدين، استطاع من خلاله كسب الوقت والنجاح بالاستمرار في استقلال امارة دمشق طيلة فترة وجوده وادارته لها حتى وفاته ولو كان ذلك على حساب كرامته وإذلاله بدفع الاتاوات وتوقيعه معاهدات مهينة مع الصليبيين.

رابعاً: ذيول سياسة أنر:

لم تمت سياسة التحالف مع الصليبيين في دمشق بموت صاحبها معين الدين أنر الذي توفي في الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة(٥٤٤هـ/١١٤٩م) بل استمرت هذه السياسة في عهد ربيبه مجير الدين بن محمد بن بوري الذي تسلم حكم دمشق رسمياً بعد وفاة والده سنة(٥٣٤هـ/١١٣٩م) وسار على خط اتابكة معين الدين في التودد الى الصليبيين ومحالفتهم ودفع الاتاوات والسماح لهم بالتدخل في شؤون دمشق[١]، كذلك ابتعاده عن الانظمام الى الجبهة الاسلامية بقيادة نور الدين الذي كان هدفه وحدة المسلمين وتحرير اراضيهم، ويبدو ان هذه السياسة لا تروق لأبق كذلك ولا تتماشى مع مصالحه الشخصية، اكد هذا التحالف ابو شامة وقال:((وقد كانوا عاهدوا الفرنج على ان يكونوا يداً واحدة على من يقصدهم من عسكر المسلمين))[٢] كان رديف إبق في هذا التحالف وزيره مؤيد الدين بن الصوفي الذي ساانده بالاستمرار بالتمسك بالمعاهدة المعقودة مع بيت المقدس[٣] منذ عهد اتابكه أنر، مما زاد من قلق نور الدين واغاظه ازاء تصرف حكام دمشق وتفريطهم في مصالح الامة لحساب الاجنبي، فتبين له ان سياسة دمشق لن تتغير تجاهه وانه لا مناص من ضمها الى مشروعه الوحدوي وتخليص اهلها من حكامها الخونة، فوجد من مهاجمة الصليبيين من السبي والنهب لأهلها[٤] واخذهم السبي ونهبهم لها سبباً مهماً لتدخله، وعزم على التأهب لملاقاتهم فكتب لمجير الدين ابق يعلمه بما عزم عليه وطلب منه المعونة بأن يمده بألف فارس، غير ان مجير الدين لم يستجب لطلبه ورده كان سلبياً[٥]، مما جعل نور الدين يتخذ طريقه بأتجاه دمشق، وعسكر بـ(مرج يبوسس)

---

[١] ابن واصل، مفرج الكروب، ج١/ص١٢٦ ؛ ابن الاثير، الكامل، ج١١/ص١٩٧.

[٢] ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٠٨ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج٢/ص٢٣٩.

[٣] حبشي،حسن، نور الدين والصليبيين،ص٦٣.٦٤؛العريني،الشرق الاوسط،ج١/ص٥٨٨.

[٤] ابن القلانسي، ذيل، ص٣٠٩.

[٥] ابن القلانسي، ذيل، ص٣٠٩ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٠٤.

الواقع شمال غرب المدينة، ولما قرب من دمشق تخوف منه حكامها وأرسلوا الى الصليبيين أخباره وأخطروهم منه بما يروه مناسباً من الاخطار[١] فضلاً عن عدم أستجابتهم لمساعدته، غير ان اهل دمشق كانت عواطفهم تميل الى نور الدين الذي فرق كذلك بين اهل دمشق وحكامها، ولما أقترب نور الدين بعسكره قرب دمشق وجه انذاراً الى حكامها مجير الدين ووزيره قال فيه:((انني ما قصدت بنزول هذا المنزل طالباً لمحاربتكم، ولا منازعتكم وانما دعاني الى هذا الامر كثرة شكاية المسلمين من اهل الحوران والعربان بأن الفلاحين الذين اخذت اموالهم وشتت نسائهم واطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم لا يسعني مع ما اعطاني الله وله الحمد من الاقتدار الا ان انصرالمسلمين.. مع معرفتي بعجزكم عن حفظ اعمالكم والذب عنها والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالافرنج على محاربتي وبذلكم لهم اموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلماً لهم وتعدياً عليكم وهذا ما يرضي الله تعالى ولا أحداً من المسلمين))[٢] وختم رسالته بأن اصر على ان تبذل حكومة دمشق مدداً لمساندة حامية مدينتي عسقلان وغزة وتخليصهما من الحصار الذي فرضه عليهما الصليبيون، الا ان رد مجير الدين كان شديداً على نور الدين وفيه نوع من التحدي بالاستعانة بالصليبيين:((ليس بيننا وبينك الا السيف، وسيوفنا من الافرنج ما يصيبنا على دفعك ان قصدتنا ونزلت الينا))[٣] مما زاد اثارته ودعاه الى اعلان الحرب على حكام دمشق على الرغم من عدم رغبته في محاربتهم وذلك أشفاقاً منه على دماء المسلمين، بيد ان مجير الدين غير من سياسته مؤقتاً وهدأ الموقف بالاستجابة الى نور الدين وذلك بأعطائه نوع من السيادة الاسمية على دمشق دون ضمها بشكل نهائي، فترك نور الدين دمشق لاستكمال جهوده مع الصليبيين في اماكن اخرى من بلاد الشام وعاد الى حلب[٤] لكن مجير الدين

---

[١] ابن القلانسي، ذيل، ص٣٠٨.

[٢] ابن القلانسي، ذيل، ص٣٠٩ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٠٤.

[٣] ابن القلانسي، ذيل، ص٣٠٩.

[٤] ابن القلانسي، ذيل، ص٣١٠ ؛ مؤنس، سيرة نور الدين، ص٢٤٣.

استمر في نهجه وتحالفاته مع الصليبيين رغم تحسن علاقاته مع نور الدين واعترافه له بالسيادة على دمشق الأمر الذي جعل نور الدين يصر هذه المرة على ضم دمشق، قبل ان يسبقه اليها الصليبيين الذين أخذوا يتدخلون في شؤون أهلها وايذائهم لهم ولكي لا تكون قاعدة لهم في حالة احتلالها تهدد كل من بلاد الشام والجزيرة، وذلك نتيجة لضعفها امامهم[١] الا أنه على الرغم من هم نور الدين واستعجاله في ضم دمشق الا انه فضل دائماً ان يكون ذلك الحل سلمياً في خسائر، وذلك لاعتماده على ولاء اهلها له، ولاسيما الاحداث منهم[٢] فغير نور الدين من سياسته تجاه مجير الدين وبالغ في اكرامه لعله يرجع الى صوابه وطاعته له، كما حاول الوقت نفسه اضعافه وذلك بتفريق امرائه عنه وخلق هوة بينه وبينهم، لكن مجير الدين استمر بسياسة التحالف مع الصليبيين ؛ لأنه اصر ان يبقى ذيلاً من ذيول سياسة أنر وتبعاتها المهينة وذلك بتمسكه بالمعاهدة المعقودة مع مملكة بيت المقدس سنة(٥٤٤هـ/١١٤٩م) في عهد أنر[٣] والتي كان من نتائج هذه السياسة المهادنة ان مكنت الصليبيين من الاستيلاء على عسقلان سنة(٥٤٨هـ/١١٥٣م)[٤] والتي زادت في اطماعهم في دمشق وهذا ما أكد عليه ابن الاثير فقال:((تولى امرهم بالاستيلاء على عسقلان حتى طمعوا في الشام، واستضعفوا مجير الدين))[٥] وزادت مضايقة الصليبيين لدمشق حتى ضايقوا اهلها واخافوهم[٦]، مما زاد من قلق نور الدين وتخوفه من مستقبل دمشق من أمتلاكها للصليبيين، وعندئذ لايبقى له ولا للمسلمين مقام في بلاد الشام، فتوجه الى دمشق محاولاً اخذها سلمياً مستغلاً كما اسلفنا عاطفة سكانها ولاسيما الشباب منهم وميلهم

---

[١] ابن الاثير، الكامل، ج٩/ص٤٥.

[٢] ابن واصل، مفرج الكروب، ج١/ص١٢٧.

[٣] ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص١٥٧.

[٤] ابن القلانسي، ذيل، ص٣٢٠.٣٢١ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج١/ص١٧٥

[٥] ابن الاثير، الكامل، ج١١/ص١٣٠، التاريخ الباهر، ص١٠٦.

[٦] ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٨٤ ؛ العريني، الشرق الاوسط، ج١/ص٥٩١.

له لانهم شعروا ان مجير الدين ارتكب خيانة ضدهم بتحالفه مع الاعداء فتمردوا عليه وزالت طاعتهم له مما أضطره الى الاعتصام في قلعة دمشق، فراسل نور الدين احداث البلد واستمالهم اليه فوعدوه بتسليم المدينة[١] لأن التجارب أثبتت ان الشعب العربي لا يمكن ان يطول صبره على الحكام المتخاذلين[٢] عندئذ زحف نور الدين الى دمشق وتمكن من دخولها سنة(٥٤٩هـ/١١٥٤م) وتسلم المدينة وحصر مجير الدين في القلعة ولم تفده بعد ذلك استغاثته بالصليبيين وبذله لهم الاموال فجاؤوا لانجاده وانقاذه لكن بعد فوات الاوان اذ سبقهم اليها نور الدين وضمها اليه فعادوا خائبين خاسرين[٣] والتي يعد ضمها الى نور الدين حدثاً مهماً في تواريخ الحروب الصليبية كما يعد بداية للنصر والتحرير للمسلمين وخسارة وهزيمة للصليبيين[٤].

خامساً: أثر سياسة أنر على حركة الجهاد:

من خلال دراستنا وتتبعنا لسياسة معين الدين أنر، تبين لنا انه اتبع سياسة الموازنات المحسوبة مع جيرانه في بلاد الشام من الزنكيين والصليبيين من اجل الحفاظ على ديمومة واستقلال امارة دمشق، بعيداً عن الاعتبار القومي او الاسلامي، ودون اعتبار لمصالح المسلمين بشكل عام، لان ذلك ربما يعود الى ان معين الدين أنر نشأ في فترة لم تتبلور فيها بعد معالم مشروع الوحدة وحركة الجهاد وان عقليته لم تستوعب بعد حركة الجهاد في هذه الفترة، لان اثار صدمة الحملة الصليبية الاولى واسبابها من الخمول والتجزئة والمصالح الشخصية والتحاسد بين الامراء المسلمين لا زالت هي السائدة ولم يكتمل بعد مشروع النهوض القومي الذي بدأ به عماد الدين ومن بعده نور الدين والذي لن يتأثر به معين الدين ولم

---

[١] ابن الاثير، الكامل، ج١١/ص١٣١ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٨٦.

[٢] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢/ص٦٦١.

[٣] ابن القلانسي، ذيل، ص٢٢٨ ؛ ابو شامة، الروضتين، ج١/ص٢٨٧.

[٤] سبط ابن الجوزي،مراة الزمان في تاريخ الاعيان،مطبعة دائرة المعارف العثمانية(الدكن:د.ت)،ق١،ج٨، ص٢٢١.

يكن راغباً فيه، لذا فأنه فضل الارتباط بالصليبيين والتحالف معهم بمعاهدات مهينة لامارته فضلاً عن دفع الرشاوي والاتاوات لهم دون خجل او مبالاة وكأن شيئاً لم يكن بالنسبة له، ولذلك فأن أنر لم يتأثر بكل المحاولات الاولى لعماد الدين زنكي بمشروع الوحدة الذي حاول فيه ضم دمشق الى حلب بوقت مبكر منذ سنة(٥٢٩هـ/١١٣٤م)[١] لكن أنر بدل ذلك تعاون مع الصليبيين ضده وأفشله، واستمر سائراً على هذه السياسة الانعزالية مع المسلمين طيلة فترة زنكي وحتى مجيء نور الدين فأنه لم يتعاون معه كذلك في جهاده ضد الصليبيين الا وفق ما تقتضيه مصالحه أو عندما يشعر بخطر حقيقي يهدد امارته، على الرغم من كل محاولات نور الدين الكثيرة في ابعاده عن الصليبيين وضمه الى جبهة المسلمين بأتباع سياسه ودية معه ومصاهرته وتحسين علاقته به، الا ان معين الدين ظل طيلة فترة استحواذه في السيطرة على ادارة دمشق موغلاً في سياسة المراوغة والمخادعة تجاه جيرانه والتي كان ضررها أكبر بالنسبة للمسلمين الذين كانوا بحاجة اليه وطامعين في كسب دمشق لما لها من أهمية في قوة المسلمين، لكن أنر خيب امال الامة وتطلعاتها في الوحدة لانه كان قصير النظر ذو سياسة مصلحية لا تهمه قوة الامة ونهضتها بقدر ما يهمه مصالحه الخاصة لذلك ظل مناوراً ومخادعاً ومختبئاً تحت ستاراً مهلهلاً معروفاً لدى جيرانه في المنطقة مما كان لسياسته ومواقفه مخاطر على وحدة الامة وحركة الجهاد يمكن تحديدها بما يأتي:

١ـ ان معين الدين أنر ظل يشكل نقطة ضعف وخاصرة رخوة في جسم الامة الاسلامية طيلة سنوات حكمه وذلك بالتجائه الى اعدائها الصليبيين الطامعين بأرض المسلمين في تعاونه وتحالفه معهم رغم تظاهر تعاونه مع نور الدين، الذي يلجأ اليه فقط في أطار الحالات الضرورية له وعلى وفق ما تمليه عليه الحاجة ومن امثلة ذلك ما حدث لأنر من خطر في الحملة الصليبية الثانية على دمشق اذ

---

[١] ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص١٠٣.

استجاب له نور الدين رغم علمه بسياسته الازدواجية، كما ان ذيول سياسته هذه استمرت بعده وانسحبت على خليفته وربيبه مجير الدين ابق، الذي انتهج السياسة نفسها تجاه نور الدين والتجائه الى الصليبيين وتحالفه معهم.

٢ـ ان سلوك أنر وخليفته أبق في دفع الاموال والاتاوات الى الصليبيين أضر باقتصاد دمشق وبدد الكثير من اموالها التي كان اهلها أولى بالحاجة اليها من غيرهم لتحسين اوضاعهم، فضلاً عن تنازله لهم عن مدينة بانياس المهمة التي لم يخسرها لو انه اتبع سياسة اكثر حكمة واستجاب لمطالب سيف الدين بدخول دمشق دون شروط.

٣. كان بامكان أنر ان يرفع شعار الامة الواحدة والهدف الواحد بدلاً من المصلحة الذاتية والاقليمية الضيقة في الدفاع عن دمشق، لأن شعار الامة الواحدة سوف يدفع المسلمين من اهالي مدن الشام والجزيرة عامة الى مساندته رغم اختلاف مصالح الامراء معه لكن أنر كان على النقيض من ذلك، عارض منذ الوهلة الاولى مشروع الوحدة مع عماد الدين زنكي ومن ثم ضم نور الدين دمشق رغم مطالبة اهلها بذلك فضلاً عن أطماعه باملاك نور الدين والتوسع على حسابه وتحالفه مع الصليبيين مما جعله يسهم وبشكل غير مباشر في تأخير مشروع الوحدة عقود عدة من بعده وإلى عهد صلاح الدين الايوبي جراء سياسة أنر الاقليمية وذيولها من سياسة أبق لأنهما تجاهلا ارادة الشعب في ضم دمشق مما جعلهما حجر عثرة في طريق وحدة المسلمين، حتى اجبر نور الدين على ضم دمشق بالقوة وحقق النصر للمسلمين الذي استكمله بضم مصر لاحقاً.

وفي الختام لا يسعنا هنا اذا اردنا تقييم سياسة معين الدين أنر، الا ان نصفها بأنها كانت سياسة مصلحية اقليمية توفيقية ضيقة ذو موازنات محسوبة مع جيرانه لتحقيق مآربه، كما انه ظل رافضاً للوحدة، مكرساً للتجزئة، ومولياً للاجنبي حتى وفاته سنة(٥٤٤هـ/١١٤٩م) توضحت هذه السياسة الضيقة في وصف احد المؤرخين المحدثين له قائلاً:((فأن سياسة أنر الاقليمية كانت خاطئة وكان عليه ان يتنازل عن مصالحه فيوقض الحمية في نفوس المسلمين عامة، وعندها سيكون

القائد المنتظر الذي سيحقق للامة اهدافها، كما فعل مودود حاكم الموصل، ومن بعده صلاح الدين الايوبي))[١] الا ان ذلك لم يتحقق مع معين الدين أنر في مواقفه من الوحدة وحركة الجهاد.

Abatract

Mu'een Al-Deen Annar His Stance Towards Islamic Jihad Against the Crusades

1149 A.D. – 544 A.H./1131 A.D. – 526 A.H.

Dr. Husein H. Al-Jumayli [**]

This paper deals with Damascus Conditions during the crusade wars. It also tackles the role of Mu'een Al-Deen Annar , his stance towards Jihad movement and it,s Leaders Emad Al-Deen Zinki and his son Noor Al-Deen Mahmood.

It also deals with Anner,s stance towards the second crusade. Similarly, it shed light on Anner's policy and the consequence results after his death upon the Jihad movement.

[١] نوري، موقف أتابكة دمشق، ص١٤٣.

** University of Tekret/ College of Arts/Dept. of History.